فَيصِل كلامه عن ناقته بالحديث عن أصحابه المحيطين به ، وهم يتنبأون له بسوء المصير ، فهو مقتول لا مَحالَة ، ويتخلّى عنه كلُّ من عَلّق عليهم الأمل من أصدقائه ، فهم مشغولون عنه لا يملكون له نفعاً ، وحينئذ لا يرى مفرا من مواجهة مصيره وحدَه ، فهو يدعوهم أن يتركوه وشأنه ، فكل ما قدّره الله كائنٌ لا مَرَدَّ له ، ويختم هذا التأمُّل بحكمة يقول فيها إن غاية كل إنسان الموت ، وأن يُحْمَل على أعواد نَعْشٍ يُفْضِي به إلى مثواه الأخير :

يَسْعَى الوُشَاةُ بِجَنْبَيْهَا و قَوْلُهُمُ : إنَّكَ يا بْنَ أبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ
و قالَ كُلُّ خليل كُنْتُ آمُلُهُ لا أُلْفِيَنَّكَ إنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
فقُلْتُ : خَلُّوا طريقِي لا أبَا لَكُمُ فكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمنُ مَفْعُولُ
كُلُّ ابْن أُنْثَى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ يَوْمًا على آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ [1]

وَيُصَرِّح بعد ذلك بسبب هذا الفزع القاتل الذي استولى عليه ؛ فهو وعيد الرّسول له ، غير أنه يَسْتَمْسِك بحبل الرَّجاء ، فيستعطفه ويَسْتَرِقُّ قلبه بأمله في أن يعفو عنه ، ويدعوه إلى أن يَتَثَبَّت في أمره ، وهو الذي لا يقضي إلا بالحقّ ولا يهتدي إلا بِهَدْي القرآن ؛ ولهذا فإنه يدعوه إلى أنْ لا يأخذ بأقوال مُبغضيه الذين يريدون الإيقاع به ، وقولُ كعب هذا هو الذي يرجِّح عندنا أن ما أسلَفه الشّاعر من جُرْم يتجاوز تلك الأبياتَ الأربعة التي أجاب بها على رسالة أخيه بُجَيْر :

أنْبِئْتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوْعَدَنِي و العَفْوُ عِنْدَ رسول اللهِ مأمولُ
مَهْلاً هَدَاكَ الّذي أعْطَاكَ نافِلَةَ الـ ـقُرْآنِ فيها مَوَاعيظٌ و تَفْصِيلُ
لا تَأْخُذَنّي بِأقوالِ الوُشاةِ وَلَمْ أذْنِبْ ولَوْ كَثُرَتْ عَنّي الأقَاوِيلُ
لَقَدْ أقُومُ مَقَامًا لو يقومُ بِهِ أرَى وأسْمَعُ ما لَوْ يَسْمَعُ الفِيلُ

(١) بجنبيها : يقصد بجنبي ناقته ، لا ألفينّك : لا أكون معك في شيء ، الآلة الحَدْباء : يريد بها النّعْش ، ومعنى الحَدْباء : المُقَوّسَة .